احنُّ الى الدّيار حنـينَ طيرٍ نأى عن عشِهِ الزاهي وطارا
ديارٌ قد ربيتُ بها صغيرًا أأنظر بعـد هاتيك الدّيارا
اموتُ وفي فؤادي نارُ شوق اليها فاقتِ النارَ استعارا

من جيبوتي الى دريداوا

رحلة لجناب الصيدلي القانوني عبد الله افندي مخائيل رعد المتخرّج في مكتبنا الطبي

مولاي — كتلميذ عارف الجميل متخرّج في مكتبكم الطبيّ الزاهر اثرت ان اقفكم على ما شاهدت من تقدم القطعة الشرقيّة من الحبشة وهي الملاصقة لمستعمرة جيبوتي وذلك بفضل دخول السكة الحديديّة الافرنسيّة الى هذه الاراضي. وعلى بناء المدينة الجديدة التي دُعيت دريداوا راجياً ان تنشروا مقالتي هذه اذا راقت لديكم فاقول:

مكثت فصل الشتاء بجيبوتي مستخدماً كصيدلي في ادارة الشركة الامبراطوريّة القائمة بمدّ خطّ حديدي من هذه المستعمرة الافرنسيّة الى داخل الحبشة وقد كتب البشير في احد اعدادهِ شيئاً عن هذه الشركة في السنة الماضية فلا حاجة لي اذاً الى التكرار

ثمّ انتقلتُ بالوظيفة نفسها من جيبوتي الى دريداوا وهي آخر نقطة وصل اليها الخطّ الحديدي الافرنسي المذكور وتبعد عن جيبوتي ٣٠٩ كيلومترات منها ٩٠ كيلومترًا ارض افرنسيّة والباقي حبشيّة تحت سلطة الامبراطور منيليك الثاني وامرة سعادة وزيره الاكبر الراس مكونين الذي عرف القرّاء الكرام اسمهُ في السنة الماضية بمناسبة سفره الى اوربّة وزيارتهِ عاصمة فرنسة

يقوم القطار من جيبوتي عند الساعة السادسة صباحاً فيروق لعين الراكب فيهِ حسن انتظامهِ وسرعة مسيرهِ ومشهد البحر الهندي المتلاطم الامواج عن اليسار ورواق خليج «تَجُرَه» وسكونهِ عن اليمين ولكن لا يعتم ان تشرق الشمس الافريقيّة وتمدّ شعاعها فيرى

المسافر بعد بضع دقائق نفسهُ كانهُ في منتصف النهار ويأخذ الحرّ مجراهُ ولا يجهل القرّاء الكرام ولو مبدأيًا حرّ ساحل الصومال خصوصاً اذا ابتدأ فصل الصيف

يسرع القطار الجري حتى يقطع الصومال على عرض صحراهِ الممتدَّة من جيبوتي الى اوائل شرقي الحبشة. والمسافر لا يرى غير سهول واسعة كأنهـا اتون نار محمى يتخللها اكمات سوداء الحجارة وبعض شجيرات من نوع الاكاسيا الشوكيَّة حتى اذا قطع هذه البطاح واخذ بالصعود في الاراضي الحبشيَّة يبتدئ الحر ان يخف فيحسّ المسافر بنفسه كانهُ خرج من اتون ملتهب وقد شرع بالابتعاد عنهُ قدمًا بعد قدم. حتى اذا صار عند الكيلومتر المائتين والخمسين او ما ينيف قليلًا يشعر كانهُ لم يعد تحت سماء افريقية اذ يجد الحرارة معتدلة والارض ممتلئـة من الاشجار ومفروشة بالحشيش الاخضر يرى الجبال من حوله كلهـا خضراء ومكلَّلة بالغابات حتى قممها فيقول: « اين انا يا قوم أفي سفح لبنان ام في غوطة الشام؟ كلَّا ما هذه افريقية ولا هـذه شمسها ولا تلك اراضيها! » . . مهلًا ايهـا المسافر العزيز لا يأخذنك العجب مأخذهُ. ما انت الّا في افريقية وازيد انك تقترب اكثر من ذي قبل الى خط الاستواء ولكن اتجهل انك دخلت ارضاً يُعَدُّ من دخلها قبلك على الاصابع وقد دعاها ابادي (Abbadie) المسافر في افريقية بسويسرا الافريقية لجودة هوائها وصفاء مائها وطيب تربتها. مهلًا فسوف ترى ما يستحق العجب اكثر من ذلك

يدخل القطار غابة متلاصقة الاشجار تكاد لا ترى ارضها اشعَّة الشمس فيجري فيها الجري السريع نحو ٢٥ كيلومترًا ثم يدخل محطة كبيرة كثيرة البنايات منظَّمـة الارصفة حيث يندهش المسافر من مرأى الجم الغفير من الاوربيين الذين جمعهم هناك صوت صفير الآلة فيقف القطار ويصرخ رئيسهُ: « دريداوا » واول شيء يستجلب نظر راكبنا العزيز هي ساعة المحطة الكبيرة فيرى الابرة قد وصلت الى الرقم الرابع اي الساعة الرابعة بعد الظهر فيقفز من عربتهِ ويحوّل نظره ذات اليمين وذات الشمال. . .

دريداوا

لا تتعب سرَّك ايها القارئ الكريم ولا تفتش عن هـذا الاسم على خريطة افريقية لانك لا تجدهُ. دريداوا اسم لمدينة جديدة لم تكن منـذ شهرين فقط سوى غابة لا بيت فيها ولا ساكن وها قد اصبحت اليوم مدينة صغيرة فيهـا من الاوروبيين

نحو ثلاثمائة وخمسين رجلًا بين مستخدم في السكة وعامل وتاجر: وعلى نحو كيلومتر واحد منها نحو خمسمائة بيت من قشّ على عادة البلاد يسكنها ما ينيف عن الف وخمسمائة وطني بين حبشي وصومالي وغورغورا وعربي من برّ اليمن وحضرموت. وكل هؤلاء لم يكن لهم من اثر في شهر كانون الاوّل سنة ١٩٠٢

اما المدينة الاوربيّة التي تمتدّ من المحطة الى المنازل الاهليّة على عرض ثلاثة اضعاف المسافة المذكورة فهي كلها ملك الشركة الامبراطوريّة المذكورة وهبها لها جلالة ملك ملوك الحبشة لتوزعها قطعاً مجانية على من يشاء البناء. وقد وزّعت الى اليوم نحو نصفها (ولم يُحرم كاتب هذه العجالة من حصّته) ملكاً بلا عوض ولا ثمن. واوّل شيء تمّ بناؤهُ سريعاً بالقرميد والخشب والحديد هي المطاعم والقهاوي ثم المحلات التجاريّة والآن جعلوا يشيّدون البيوت

وقد اخذت الشركة المذكورة على عاتقها هندسة الابنية فاقامت مهندساً مخصوصاً للمدينة يرسم خرائط البيوت والمحلات بدون اجرة لان معاشهُ من الادارة. وقد سبقت فسحبت الماء الى المدينة بانابيب من حديد على نحو ماء بيروت ووضعت سُبُلًا في جميع الشوارع وهي تقبل اشتراكات الخواصّ باسعار جزئيّة. والابنية جارية على قدم وساق واني لمتأكد ان بعد مضي سنتين فقط تصبح دريداوا مدينة جزيلة الاهميّة رابحة التجارة لان نقطتها متوسطة بين انحاء كثيرة من البلاد الحبشيّة ينصبّ عليها تجار المقاطعات من كل جهة وصوب حاملين محاصيل البلاد من ذهب وعاج وجلود وقهوة وعسل وشمع وحنطة وحبوب وهي اهمّ اصناف تجارة الحبشة. ويعتاضون عنها من التجار الاوربيين بالاقمشة والاشربة والقبعات وبقية الاصناف التي تجلب من اوربّة فيسقط سوق جيبوتي وعدن ولا يعود التاجر الحبشي يصل ببضاعته الى المرافئ البحريّة وتتحوّل حركته الى هذه البلدة الجديدة ومما يؤكد ذلك هو ان كثير من اصحاب المعامل الافرنسيّة اخذوا حصصاً في المدينة ليجعلوا فيها معامل فرعيّة

(مناخ المدينة) مناخ دريداوا معتدل مائل قليلًا الى الحرارة. فصيفها اشبه بصيف بيروت وشتاؤها بشتاء حلوان في مصر. اما في الشتاء فالهواء ناشف قليل المطر غير ان الصيف كثير الامطار كثيف الغيوم فهذا ما يجعل الحرارة معتدلة

(تربتها) تربة دريداوا جيدة للزراعة لكن لم تعمل فيها آلة الحارث منذ خلق

الله الارض وما فيها وهي بالنظر لاعتدال المناخ وميلهِ للحرّ وغزارة الامطار تعطي الزارع موسماً في كل خمسة اشهر كما يؤيد ذلك مواسم زراعة الذرة البيضاء التي يزرعها الاهلون الغورغورا بالقرب من النهر المدعو «لاجاحرّي» الذي يجري بالوادي المسمى بنفس هذا الاسم على مسافة ثلاثة كيلومترات من دريداوا حيث مزارع قليلة تسقى بماء المطر اذ النهر يجري بالوادي ولا سبيل لديهم لجلب مياههِ الى مزارعهم. اما بقيّة الاراضي فينبت فيها الحشيش الاخضر لنفسهِ وهو يغمر المواشي فيبلغ الى بطونها وكل هذه الاراضي هي ملك سعادة مكونين لا يبيع منها للجنس الابيض ولا قيراطاً واحداً لانهُ يخشى نفوذ البيض وتملكهم على بلاده غير انهُ يأجرها بكل طيب خاطر باجارات طفيفة للغاية بالنسبة للمحصول الناتج عنها

(ماؤها) ماء دريداوا عذب لذيذ نقي صافٍ بارد خفيف سحبتهُ الشركة بانابيب من حديد من نهر اللاجاحرّي الآنف الذكر وهو كافٍ الآن لثلاثة اضعاف الاهالي الحاضرة غير انهُ يُزاد بالمستقبل على نحو الحاجة لان ماء النهر غزير والاقنية وحواصل الماء ضخمة وكبيرة وقد جُعلت لمستقبل مدينة واسعة الجنّات

(اسباب المعيشة والتجارة الحاضرة) المعيشة لم تزل غالية في المطاعم غير انّها في غاية الرخص لمن يحضرها في المنازل وخصوصاً المعائلات لان كل شيء موجود باسعار بخسة جداً فان الدجاجة بغرش صاغ والبيض والحليب بلا ميزان ولا مكيال ولا عدّ. وكذلك قل عن اللحم والصيد والخضرة وبقيّة المحصولات الاهليّة. اما الاشربة الروحيّة وبقيّة ما يؤتى بهِ من اوربّة فاسعارهُ غالية. ثمّ ان اسباب الاتجار موفّرة وتزداد يوماً بعد يوم واخصُّ من تروج بضاعتهم باعة الخمور واصحاب المطاعم. اما الصنائع فالحظُّ الاوفى منها للنجارين والبنائين للسكة الحديديّة ولأبنية المدينة

(السكة الحديديّة) قد ضمنت الحكومة الافرنسيّة اسهام هذه الشركة فتدفع للمساهمين فائض مالهم على معدل ١٠٠/٢ الى اليوم الذي بهِ تبدأ الشركة المذكورة ان تعطي ارباح اسهامها لذلك بادر المتمولون في فرنسة لابتياع هذه الاسهام. اما الآن فالشركة قد اوقفت مد الخط في دريداوا مدة ثلاثة اشهر ريثما تجتمع عندها في جيبوتي كمية كافية من الحديد وهي الآن مصوّبة كل قوّتها على تقدم مدينة دريداوا وستشرع بمد الجزء الثاني من الخطّ (من دريداوا الى اديس ابابا وهي عاصمة الحبشة)

في اوائل تموز وطولهُ ٤٥٠ كيلومترًا امَّا الجزء الثالث من الخطّ فهو من اديس ابابا الى النيـل الازرق وهذا سيبتدئ المهندسون بوضع خريطتهِ عند شروع الشركة بمدّ حديد الجزء الثاني امَّا طولهُ فهو نحو ١٧٥ كيلومترًا على ما يُقال

هذا ما امكنني ان افيد بهِ القرَّاء من الملاحظات الشخصيَّة والمفاوضـات مع المستعمرين في وصف الجهـة الشرقيَّة من الحبشـة وان شاء الله نصف لهم قريبًا مدينة هرر وضواحيها لانني ساغادر مأموريتي هذه في دريداوا واذهب الى تلك الحاضرة (وهي تبعد عن دريداوا مسافة ٥٠ كيلومترًا) حيث تعيَّنت صيدليًّا لمستشفى سعـادة الراس مكونين. وذلك بعد نحو شهر من تاريخ هذه العجالة

هلال الصابئ وتآليفهُ

نبذة تاريخيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

لا تزال همَّة المستشرقين تبعث كلَّ يوم من مواتهـا دفائن الآداب التي كنَّا نعضُّ على فقدها البنان فتراهم ينقّبون المكاتب ويقطعون البيـد ويطوفون البلدان ويبلغون اقاصي المعمورة على مثال برزويهِ لمَّا نقل من الهند الى فارس كتاب كليلة ودمنة فلا تحمد نار غيرتهم ريثما يظفرهم الله بحاجتهم مهما بعد منالُها ولا تراهم يضنُّون بهذه الكنوز اذا ما وجدوها بل يسرعون الى نشرها لئلاَّ تضيع الفائدة من اكتشافها

ومن التآليف التي خرجت بعد اختفائها الى عالم الوجود في السنة الجارية كتاب جليل لابي الحسن هلال الصابئ من كتبة القرن الرابع للهجرة يُدعى تحفة الامراء في تاريخ الوزراء وفي آخرهِ قطعة من تاريخهِ المطوَّل الذي جعلهُ ذيلًا لتاريخ خالهِ ثابت بن سنان بن ثابت بن قرَّة الصابئ. وقبل تعريف هذا الأثر النفيس وخواصهِ احببنـا ان نصدّر نبذتنا بترجمة صاحب التأليف واعمالهِ ثم نبسط الكلام عن تاريخهِ

١

الصابئة شيعة غريبة الاحوال عريقة في القدم وصفها حضرة الباحث المحقّق الاب انستاس الكرملي في عدَّة مقالات اثبتناها في المشرق واستحسنها كلُّ القرَّاء. فمن هذه